THE CONNOTATION OF "HANEF" IN THE QUR'AN LEXICON

دلالة مفهوم «حنيف» في المعجم القرآني .

Ziyad ALRAWASHDEH*

Abstract: Quran is the word of God revealed to the Prophet Muhammad (peace upon him) before one thousand and four hundred years, addressed to all mankind. To be able to understand the meanings of the Qur'an discourse, we must look into metaphorical, real and historical dimensions of the Qur'an's word in depth, because of the great importance of the Qur'an's word in understanding the speech of divine revelation. To be able to understand the semantics and meanings of the Qur'an discourse, we must look into metaphorical, real and historical dimensions of the Qur'an's word in depth, because of the great importance of the Qur'an's word in understanding the speech of divine revelation.

In order to understand the ''HANEF'S'' word in Quran, we need to look to its similar, synonymous and adverse words in the Quran lexicon, so that we can realize the meaning of Quran concept like the synchronic Connotation at the revelation time (the Period of Quran revelation) away from the diachronic period of the Quran.

Keyword: Hanef, Qur'an, the lexicon.

الخلاصة:

لكي نتمكن من فهم معاني ودلالات الخطاب القرآني لابد من التمعن العميق للكلمة القرآنية بأبعادها المجازية والحقيقية والتاريخية ؛ لِما للكلمة القرآنية من الأهمية الكبيرة في فهم خطاب الوحي الإلهي .

وحتى نفهم كلمة ''حنيف'' في القرآن، يلزمنا أن ننظر إلى الكلمات القريبة منها والمترادفة والمعاكسة لها في المعجم القرآني، حتى نتمكن من إدراك دلالة المفهوم القرآني الحقيقي كدلالته الآنية عند فترة النزول.(الفترة القرآنية) أي بدلالة المعجم القرآني بعيدًا عن فترة (المابعد القرآنية) .

الكلمات المفتاحية: حنيف ، القرآن ، القاموس.

مدخل:

إن الباحث في معنى الدلالة القرآنية الآنية للآية (أي: لحظة نزول الآية) يلزمه النظر إلى القرآن كمعجم متكامل؛ كون آياته تفسر بعضها بعضاً، وليتمكن الباحث من معرفة ما جاء به القرآن الكريم من دلالات جديدة للكلمات التي يحملها ، ولكي يدرك الأحكام التي يخاطبنا بها.

القرآن الكريم كونه كتاب إلهي هو وحُده من يشرح نفسه بنفسه ، ويُوضّح دلالاته ضمن الآيات الكريمة، ويخاطب الناس بأحكامه الخاصة، ولا يحق لأي كان أن يتأله ويشرح آيات الكتاب ضمن تأويلٍ أو تفسيرَ إشاري أو فلسفي أو غيره من التفاسير؛

*Dr. Ziyad ALRAWASHDEH, İstanbul Üniversitesi İlahiyat Fakültesi. (guller_guler@yahoo.com)

لأن الله تعالى يقول في محكم تنزيله:

(لا تُحَرِّكْ به لسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ 16 إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ 17 فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ 18 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ 19). (سورة القيامة.19-16)

فالله تعالى من له الحق فقط في بيان معاني آيات الكتاب العزيز،ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو من يعلِّم الصحابة الكرام والمسلمين كيفية التعامل مع كتاب الله تعالى، والاية الكريمة تشير إلى أنّ الله تعالى هو من يفسرُ كلامَهُ بنفسه بقوله:(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ).والحكمة في ذلك جاء ذكرها في قول الله تعالى:

(الر كتابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ 1 ألّا تَعْبُدُوآ إلّا اللهَ إِنَّني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيْرٌ وبَشِير2)(سورة هود.2-1).

إذن ايات القرآن الكريم مفصلة من لدنّ الله تعالى، وهو سبحانَه مَن يتولى بيان معاني كلامَه للناس لكي

(لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ).(سورة آل عمران.64).

إن آيات القران الكريم نزلت مثنى أي : يفسر بعضها بعضاً ؛ فما أُجمل في مكان فُصِّلَ في مكان آخر، وإن جاء حكم عام في موطن ما في آيات القرآن الكريم جاء في موطن آخرَ تامّ التفصيل. قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ).(سورة الزمر.23).

(مَّثَانِيَ)جمع مثنى أو مثنية، قيل: إنه بمعنى المعطوف لانعطاف بعضه على بعض ورجوعه إليها بتبين بعضها ببعض وتفسير بعضها ببعض، وقيل: إنه عبارة عن المعاني الثنائية.[1]

أولا: معنى كلمة»حنيف» في قواميس اللغة العربية.

جاءت كلمة حنيف في اللغة بعدة صيغ فقد جاءت بـ (حَنَفَ،حَنِفَ،حَنُفَ،حَنَّفَ) بمعنى مال وانعطف،والحنفاء مؤنث الأحنف وهي القوس لأن عودها محنوف (معقوف) .[2]

وجاءت الكلمة باللغة العبرية (حَانِيْف)(חניף) (حَنيف רבים حُنَفَاءُ [שורש : حنف]) بمعنى: دنَّسَ، أفْسَدَ، كَفَرَ، طريقة ساذجة ، والمسلم ، دعوة دين إبراهيم ، ودعوة التوحيد التي في القرآن. ومن حيث المصدر في القاموس العبري جاءت بمعنى ملتوي الساقين، وفي السريانيَّة (haneef) (حَنِّف) بمعنى: تحول إلى الوثنيَّة. وجاءت باللغة اليونانية القديمة بمعنى المرتد أو الوثني (hanpa/hanfa).[3]

قال ابن فارس: الحاء والنون والفاء أصلٌ مستقيمٌ، وهو الميل. و(حَنَفَ)بمعنى مال .و(حَنِفَ) استقام. وقيل: مال من الضلالة إلى الاستقامة. وفي اللسان جاء قول الشاعر :

تَعَلّم أن سيهديكُم إلينا

طريقٌ لايجور بكم حَنِيْفُ. [4]

والحنيف جاءت بمعنى المستقيم في هذا البيت من الشعر ، إذ هي صفة للطريق.

وعلى ما يظهر فإن معجم اللغة العربية يحتوي على معنىً آخر لكلمة «حنف» وهو «الاستقامة». وعلى هذا يكون معنى

---

1 انظر: محمد حسين فضل الله، **من وحي القرآن**، دار الملاك للنشر والتوزيع ، بيروت.لبنان. (ط/2) 1998م.تفسير سورة الزمر آية23.

2 انظر: حسن سعيد الكرمي، **الهادي إلى لغة العرب**. (ط/1) دار لبنان للطباعة والنشر.بيروت 1991م. (ج1.ص544)مادة حَنَفَ.

3 انظر: عبدالصمد محروس وآخرون، **المعجم الكبير**، ط:1 مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.مصر 2000م.ج5.مادة حنف.

وانظر: دافيد أيلون و فسح شنعار." **قاموس عربي – عبري للغة العربية المعاصرة**.« (ط1) دار نشر الجامعة العبرية 1947م. دار ماغنس للنشر-حالياً-حرف الـ (ח / ح)

4 انظر: نفس المصدر السابق، **المعجم الكبير**. مادة حنف.

«حنف» فيما يظهر لنا أنها لفظ مشترك يطلق على الميل حيناً وعلى الاستقامة حين آخر.

جاءت بمعنى العدول عن الشرك، حيث قالت كبشة أخت عَمرو بن معد يكرب له:

فمَا شِبْهُ عَمْرو غيرَ أغْتَمَ فاجرٍ

أبَىْ مُذ دَجا الإسلامُ لا يَتَحَنَّفُ. [5]

وأغتم بمعنى:الذي لايفصح. ودجا الاسلام :قوي وانتشر، أي أنّ أخوها عَمرو عدل عن شركه واتبع الاسلام وسار على طريق الاستقامة

وكلمة الأحنف تطلق على من كانت قدماهُ فيهما ميلٌ وانحرافٌ. كالشاعر الأحنف؛ حيث نال هذا اللقب لانحراف في ساقيه. وهذا يعني أن معنى أحنف بهذه الدلالة يكون من مشى على قدمه منشقها الذي يلي خنصرها. وجاء في الخبر أدركَ النبيُ صلى الله عليه وسلم رجلاً يجر إزاره فقال له: (ارفع إزارك). فقال الرجل: إني أحنف. فقال عليه السلام: (إرفع فكل خلق الله حسن). وكانت العرب في الجاهلية تُطلق على من اختتن وحجّ البيت اسمَ حنيف ؛لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت.[6]

ونقول حَنَفَ حَنفًا؛ أي مال. وحَنِفَ الرجل إعوجَّت قدمه إلى الداخل. ويقال حَنِفَت رجلُه فهو أحْنَفٌ .ويقال: يدٌ ورِجلٌ حنفاء والجمع حُنْفٌ. **والتَّحَنُّف**: اعتزال عبادة الأصنام، وأسلم، وتعبَّدَ، وعمِلَ عمل الحنيفيّة.[7]

والأحنف بمعنى الميل ؛ وهو بكل ذي أربع: تكون في اليدين. وفي الإنسان في الرجلين. والسيوف الحَنَفِيّة (وفي لسان العرب والقاموس المحيط :الحَنِيْفِيّة)، والحَنِيْفُ :هو المسلم والجمع الحُنَفَاء سُميَ بذلك لأنه تَحَنَّفَ عن الأديان كلها . أي:مال. والحنيف :الحاج. والقصير من الرِجال. وتَحَنَّفَ أي:تَعَبَّدَ .[8]

بعد هذه الجولة في قواميس اللغة العربية نلخص ما مرّ معنا فيما يلي :

1- إن مصدر"حنف" في قواميس اللغة العربية القديمة والحديثة حملت معنى الميل والإعوجاج. وبهذا المعنى وردت الكلمة باللغة اليونانية القديمة والسريانية والفارسية القديمة واليهودية كذلك.

2- تطورت دلالة كلمة حنيف من الجاهلية القديمة إلى الجاهلية الحديثة ؛ إذ كانت في الجاهلية القديمة تطلق على كل من وَحَّدالله وحجّ البيت وصلّى واختتنَ ولم يأكل ماذُبح على الأصنام. ثم صارت تطلق في الجاهلية الثانية على الميل عن عبادة الأوثان إلى دين إبراهيم،والتعبد والتحنُّث، والامتناع عن أكل ذبائح المشركين . فصار يسمى كل من دان بدين إبراهيم عليه السلام من عرب الجاهلية(حنيف).

3- أورد بعض علماء اللغة من خلال تعريفهم لكلمة (حنيف) بأنها تعني الدين المستقيم أوالإسلام. وهذه دلالة قواميس اللغة العربية،أو بالأحرى دلالة الـ «مابعد قرآنية» للكلمة وهي تطابق الدلالة المعجمية للكلمة والمفهوم في القرآن الكريم.وسيأتي توضيحه لاحقاً.

---

5 انظر: نفس المصدر السابق، **المعجم الكبير**. مادة حنف.

6 انظر: نفس المصدر السابق، **المعجم الكبير**. مادة حنف.

7 انظر: إبراهيم أنيس، **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع-استنبول.تركيا.ط:1.(ج1.ص778-776) مادة حنف.

8 انظر: أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة-بيروت 1985.من غير طبعة(ج2. ص14)

ثانيا: دلالة الكلمات في المعاجم.

إن الفسحة الزمنية قد تكون طويلة أو قصيرة فلُغَة القرآن الكريم نفسها يمكن النظر اليها كصيرورة تاريخية استغرقت اكثر من عشرين عام بمرحلتين مختلفتين هما المكية والمدنية . وبإزاء هذه الحالة فبامكاننا وعلى نحو منطقي تماما أن نصنع مقطعين عرضيين يقطعان التطور التاريخي لهذه اللغة عند النقاط الحاسمة ، ثم نقارن بين القطاعين المستعرضين إذا كان هدفنا الدراسة الدلالية لتطور الفكر الاسلامي ضمن حدود القرآن.[9]

إن الفترة التي سبقت نزول القرآن الكريم تحتوي على معجم لعلم المعاني حفظته الاشعار الجاهلية في المعلقات والحكم والأمثال السائرة والنثر، وهذا مانشعر به من قياس عمق الثقافة والحالة الإجتماعية التي يعيشها أهل تلك الفترة من خلال النظر والتدبر في أقوالهم التي ترسم دلالة قوية لسِيَرِ حياتهم .وهذا يعد مقياسا واستقصاءاً لنوعية تفكيرهم ومحيط اعتقادهم.

بالنظر للقرآن الكريم كمعجم منفصل عن معجم الفترة الزمنية التي جاء بها(الماقبل قرآنية)، نرى أن القرآن له نظرته الخاصة للكون والإنسان والحياة .وأن خطابه للإنسان مختلف تماما عما آثره الناس من الشعر الجاهلي والحكم والأمثال السائرة التي كانت في زمن الجاهلية.

فيما يتعلق بـ (تاريخ) المصطلحات المفتاحية القرانية فإن القسم الجاهلي ، أي السابق للقرآن (الماقبل قرانية) ، وحده هو الضروري بالنسبة إلى هدفنا الخاص ، وفي حدود إلقائه ضوءاً كاشفاً على تشكيل المعاني الأساسية للكلمات في تلك الفترة الزمنية.[10]

إن البحث الدقيق في مسألة أهلية علم الدلالة التاريخي وأهميته سيكشف من خلال التغاير كلا من ميزات المناهج والمبادئ الخاصة بعلم الدلالة السكوني ومواطن قصورها . ومن ثم سيمكننا من الجمع بين علمي الدلالة بأكثر الطرق خصوية في تحليل بنية المعجم القرآني.[11]

إن الإسلام أنتج أنظمة تفكير عديدة مختلفة في المراحل اللاحقه له ؛ وعلم الدين والفقه والنظرية السياسية والفلسفة والتصوف هي بعض أهمها. وقد طوَّر كل من هذه المنتجات الثقافية للإسلام نظامه المفهومي الخاص ، أي معجمه الخاص الذي يتألف في ذاته من عدد من الأنظمة الفرعية كما رأينا في حالة المعجم القرآني بالضبط.

ثالثاً : الحقل الدلالي لكلمة»حنيف».

إن التطور التاريخي للمعاني في العصور(المابعد قرانية) لن يكون موضوع اهتمامنا بأية حال. واذا كنا على الرغم من هذه الحقيقة الواضحة نصر على الإهتمام ببعض القضايا المهمة التي يثيرها علم الدلالة التاريخي ، بصدد التغيرات التي خضعت لها بعض الكلمات المفتاحية القرآنية عبر التاريخ .[12] ، سيكون ذلك أساسا للأسباب التالية:

1. بما أن بحث مسألة ما عموما من زاويتين او اكثر ،مختلفتين لكن مترابطتين بقوة يؤدي في الغالب الى رؤية اعمق وأشمل للموضوع فتناول قضية المعجم من جديد بوصفة عملية تطور تاريخية سيساعدنا في توضيح بعض الوجوة المهمة للقضايا النظرية.

2. إن تتبع التطور الدلالي لبعض الكلمات المفتاحية القرآنية في الانظمة غير القرآنية التي ظهرت في الاسلام مع مرور الزمن قد يمكننا من القاء ضوء من زاوية جديدة على خصوصية المعاني التي تملكها تلك الكلمات في القرآن نفسه .

يمكننا أن نركز الضوء على بعض الكلمات المفتاحية التي تصيغ بدورها حقلاً دلالياً للكلمة المركزية (حنيف)؛ لنخرج بالدلالات القرآنية الآنية والتاريخية لهذه الكلمة . وأولى هذه الكلمات المفتاحية :

---

9 انظر: توشيهيكو إيزوتسو، **الله والإنسان في القرآن الكريم** ، ص : 74

10 انظر: روبير مارتن ، **في سبيل منطق للمعنى** ترجمة الطيب البكوش وصالح الماجري،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (ط/1) 2006م. ص379

11 انظر: توشيهيكو إيزوتسو، **الله والإنسان في القرآن الكريم**: ص72-70

12 انظر: توشيهيكو إيزوتسو، **الله والإنسان في القرآن الكريم**: ص70

الكلمة المفتاحية الأولى: « صبأ « .

بالنظر لكلمة «حنيف» ككلمة مركزية في المعجم القرآني نرى أنه بإمكاننا أن نُكَوِّنَ حقلاً دِلالياً لهذه الكلمة المركزية؛ وذلك بجعلها مركزا لبعض الكلمات الأخرى القريبة منها أو المرادفة والمعاكسة لها.

وبالنظر إلى كلمة «أصبُ» في قصة يوسف في القرآن الكريم عندما دعا ربَه أن يبعد عنه أذى النسوة اللآتي أَرَدْنَ أن يوقعن به ، جاء خطابه في القرآن الكريم:

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) (سورة يوسف.33)

إن دلالة كلمة (أصبُ إليهن) تعني اَمِلْ إليهن، كما اشار لذلك غير واحد من علماء اللغة. [13] وهي تعني نفس دلالة كلمة «حنيف» التي تعني (الميل) .إن كلمة «صبِيء» تعني في معجم الشعر العربي وقواميس اللغة العربية بالمعنى التعاقبي معنى مال، ومنه يقال «صبيٌ» و «صبيةٌ» صغير السن، ورجل تصابى أي:مالَ،وتطلق على الرياح، ويطلق عليها ريح الصبا. وقد ذكر النبي اسم هذه الريح فقال:(نُصرتُ بالصَّبا واهلكت عادٌ بالدَّبُوْر). وذكر الأزهري أن معنى الصابئين هم الخارجين من دين إلى دين، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم: قد صبأ؛ عَنُوْا: أنه خرج من دين إلى دينٍ. [14]

والمهموز من مصدرصبأ يدلُّ على خروج وبروز. يقال صبأ من دينٍ إلى دين، أي خرج. وهو قولهم: صبأ نابُ البعير، إذا طلعَ. والخارجُ من دينٍ إلى دين صابيءٌ، والجمع صابئون وصُبَّاءٌ. [15]

إن الصابئة كديانة يقترب اسمها من ''صَبَأ'' بمعانيها اللغوية العربية ومعانيها باللغة الآرمية؛ فمن معتقداهم تعظيم الخصب والمياه والتطهر والتعمد بالماء ؛فهم يستبشرون بريح الصبا ويتعمدون بالمياه وتكون وجوههم باتجاه هبوب ريح الصبا هذا من جانب. ومن جانب آخر؛ هم مالوا لعبادة الله عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم لذا أطلق عليهم '' الصابئة ''.

وبعد ذلك تعاقبت السنوات على هذه الملة فصار كل من يمشي بطريقهم في عبادة الله يُسمى بـ ''الصابئ '' ، وهم ليسوا أتباع لنبي واحد بل هي صفة تقارب دلالة كلمة''حنيف'' من حيث الميول عن عبادة الأوثان والشرك إلى عبادة الله وحده. فالأنبياء الذين يؤمن بهم الصابئة هم آدم ونوح وإدريس ويحيى وغيرهم من الأنبياء،وعندهم مجموعة من الكتب السماوية التي تعود لمجموعة من الأنبياء. وهذا يدل على أن التسمية أصلها صفة للميل إلى دين الأنبياء واتباع الوحي الإلهي.

وقدجاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع في قول الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(سورة البقرة.62)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُم يَحْزَنُونَ) (سورةالمائدة.69)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(سورة الحج.17).

إن الايات تتكلم عن الصابئة المندائيين وليس عن صابئة حَّران؛لأن الصابئة المندائيون كانوا أصحاب كتاب وموحدين على عكس صابئة حَرَّان الوثنيون، وهذا لايهمنا كثيرا بقدر مايهمنا أنهم كانوا أهل كتاب وأخذوا تسميتهم لاتباعهم للانبياء واعتقادهم بالوحدانية.وهذا صريح باستقراء القرآن الذي تعكس حقائقه صورة التاريخ الحقيقي كما لو كنا نشاهده.

بقي أن نذكر أن كلمة حنيف أطلقت كذلك لتحمل نفس الدلالة على أتباع دين ابراهيم (عليه السلام) ومن تبعه ، ومن

13 انظر: محمد بن جرير الطبري، «**جامع البيان عن تاويل آي القرآن**» تحقيق.محمود شاكر.دار المعارف.مصر.سورة يوسف.33.

14 انظر: ابو منصور محمد بن أحمدالأزهري ، **تهذيب اللغة**. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. الطبعة الأولى.2011م. مادة صبأ.

15 انظر: أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة. تحقيق.عبدالسلام هارون. دار الفكر.دمشق1979م. مادة صبأ.

جاء بعده بديانة التوحيد من الأنبياء فأصبح كل من يتبع هذه الديانة اسم «حنيف». فليست المسألة مسألة أسماء وعناوين تمثّل الانتماءات الدينية، بل هي مسألة العمق العقيدي الذي يعيشه الإنسان في وجدانه الفكري وانفتاحه الروحي، والاستقامة العملية على خطّ التوحيد في كلّ التزاماته في الواقع العملي للإنسان.[16]

إن هجرة النبي إبراهيم عليه السلام كانت هي حقيقة واقعة لامجال للشك فيها ، فقد ورد في هذه المدونات مايشير إلى وقوع نزاعات دينية أساسية في العراق، في حوالي الفترة التي هاجر فيها إبراهيم الخليل.وأسباب هذه الهجرة،هي صراع داخلي عنيف، بدأ على السطح على شكل صراع بين عبادة(إيل)التوحيدية وبين عبادة(سين)إله القمر الجنوبي،إنتهى بانتصار اتباع (سين) وادى إلى خروج هجرة كبيرة من العراق بقيادة آخر ملوك السلالة السابقة، التي كانت على العبادة الـ(إيليه)،واسم هذا الملك هو(ياثع إيل) ومعناه(إلهه الواحد صديق له) وهي الصفة ذاتها التي عُرف بها إبراهيم:(خليل الله).[17]

الكلمة المفتاحية الثانية: «هاد».

بالنظر إلى الموحدين من أهل الكتاب من يهود ونصارى نرى أن كل طائفة منهم أطلقت على الموحدين من أتباع نبيها إسماً يدل على إتباع النبي المرسل بعقيدة التوحيد والأحكام التشريعية الإلهية؛ فسمى القرآن الكريم أتباع موسى عليه السلام بـ(الذين هادوا) في أكثر من موضع في القرآن الكريم. قال الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(سورة البقرة.62)

وهي بدلالة العائد والتّائب فيقال هادَ الرجل إذا عاد،وأصبحت تطلق على من آمن وتاب عن الشرك واتبع ملّة سيدنا موسى عليه السلام.وفي بداية الأمر كان يمتدحهم القرآن ويصفهم بـ(الذين هادوا) وفي هذه الفترة الزمنية كان الاسم ينطبق انطباقا تاما على المسمى. لكن بعد العصيان والكفر بقي يخاطبهم القرآن بنفس الصفة،ولكن ليس بدلالة التائبين بل بدلالة المعاكسة تماما.

(مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) (سورة النساء.46)

لذا جاء الخطاب بالغضب على(اليهود) كونهم ابتعدوا عن طريق التوحيد واتباع الانبياء. قال الله تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا)(سورة المائدة 64). وأصبحوا يُسَّمَون بعد النبي موسى بـ(اليهود) الإسم هنا لاعلاقة له بأصل التسمية، وهو كإطلاق إسم الصابئة المندائية (الموحدة) على الصابئة الحرَّانيَّة (المشركة) تماماً.

ففي اللغة نقول: فأمَّا اليَهود فمن هاد يَهُودُ، إذا تاب هَوْدَاً. وسُمُّوا به لأنَّهم تابُوا عن عبادة العجل وخرج سبعون من الذين هادوا مع موسى عليه السلام لمناجاة الله تعالى. وفي القرآن:

(إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ)(سورة الأعراف 156).[18]

وبالنظر من نافذة المعجم القرآني لهذا المفهوم من دلالته المعاكسة نرى أن عكس كلمة (الذين هادوا) من الموحدين هي (الذين هادوا واليهود) من الذين كفروا بالنبي موسى عليه السلام وبما جاء به؛ وتعني: الذين كفروا.

وبإزاء هذه الحالة فبامكاننا وعلى نحو منطقي تماما أن نصنع مقطعين عرضيين يقطعان التطور التاريخي لهذه اللغة عند النقاط الحاسمة ، ثم نقارن بين القطاعين المستعرضين إذا كان هدفنا الدراسة الدلالية لتطور الفكر الاسلامي ضمن حدود القرآن. [19]

16 انظر: محمد فضل الله : من وحي القرآن : تفسير سورة البقرة.آية62 .ج1.
17 انظر: أحمد سوسة. **العرب واليهود في التاريخ**.:العربي للطباعة والنشر. دمشق 1975م.ط4.(ص446)
18 انظر: أحمد بن فارس . **معجم مقاييس اللغة**. مادة: هود.
19 انظر: توشيهيكو إيزوتسو. **الله والإنسان في القرآن الكريم**. ص: 74

بعد سيدنا موسى عليه السلام ظهر النُّساخ والأحبارالذين كتبوا التوراة والتلمود وبدأوا يبتعدون بكتاباتهم عما نزل على موسى،وبدأوا بالانحراف عن التوحيد والابتعاد عن اوامر الله تعالى التي جاء بها موسى والأنبياء من بعده. حيث أصبحوا ينظرون إلى الناس نظرة إثنية فيها العلو والتكبر ،قال الله تعالى:

(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)(سورة المائدة.13)

ومن هنا يظهر أن ثمة جدار هائل يفصل مابين الحنيفية التي كانت في الجزيرة العربية والديانة التي جاء بها موسى لقومه وبين الحس اليهودي الهمجي مابعد موسى، ويجعل يهودية مابعد موسى بعيدة كل البعد عن أن تكون مصدراً من مصادر الفكر الحنيفي قبل الإسلام.

فإله الأحبار(يهوه) بعد موسى كان متعطشاً للدماء ولايرحم ويأخذ الأبناء بجرم الآباء أبعد من أن يكون له بإله الأحناف الرحيم خالق الإنسانية جمعاء وراعيها،إن خطاً عميقا فاصلا يظهر بين النسق الأخلاقي اليهودي اليهوي، الذي يقدم لنا نماذج منحطة من السلوك البشري المبارك من قبل الالهة،بدءا من إقامة المذابح الجماعية، وانتهاءا بالسرقة (فسفر صموئيل الأول وسفر القضاة يُظهر الأمر بقتل الأطفال والنساء والحيوانات) وبين السلوك الرفيع لحنفاء الجاهلية، الذي تحفل به جميع المراجع التاريخية من إحياء الموؤدة، ومساعدة المظلوم، والترفع عن الرذائل وغير ذلك مما يُشِّكل البنية الأخلاقية السلوكية للفكر الحنيفي آنذاك.[20]

ولكي نصل إلى تحليل دلالي بأبعاده الثقافية ومحيطاته العقائدية ليتسنى لنا التمييز للمركبة الجملية التي هي مجال لتحليل الحقيقة الدلالية ، حيث تحدد قابلية الجمل في ذاتها ومعناها وعلاقات الحقيقة التي توحد بينها كذلك بإدراك المركبة الخطابية فتنصهر الجملة في تماسك النص للوصول الى المركبة التداولية وهي مجال الحق والباطل حيث الجملة التي اصبحت لفيظاً تؤوّل في الوضع التلفظي.

نجد أن إسماعيل عليه السلام هو عمُّ اليهود بالرغم أن القرآن الكريم يقول:(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا)(سورة آل عمران67) ويقول بعد أن جمع يعقوب أولادهُ (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(سورة البقرة133) فالإسلام هو الدين الواحد المنزل من السماء. لقد وردت كلمة «بني إسرائيل» في المصحف الشريف إحدى وأربعين مرة واليهود مرتين ولا علاقة بين إسرائيل واليهود. [21]

إن المركبة الخطابية التي تتموضع بين المركبة الجملية والمركبة التداولية تأخذ الجملة خارج السياق وتدمجها في الخطاب. واجمالاً فإن المركبة الخطابية يجب أن تكون قادرة على تفسير هذا الحدث البسيط المتمثل في أن جملة تكون في الآن نفسه تامة البناء مقبولة نحوياً ودلالياً، ومع ذلك يمكن أن تكون غير مناسبة في هذا السياق أو ذاك . وهذا ما يعرف (بالخروج من الدلالية إلى التداولية) . [22]

بالنظر لاتباع سيدنا عيسى الذين آمنوا به وصدقوه نلاحظ ان الايات أطلقت عليهم اسم الحواريين و وُصفوا بأنهم أنصار الرسول إلى الله تعالى. وإذا جاء وصف الموحدين بالأنصار نودوا بالحواريين في المعجم القرآني، وعند الشك في الإيمان تُرفع صفة انصار الله عنهم.

قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام:

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (سورة آل عمران 52)

الكلمة المفتاحية الثالثة: « النصارى و الحواريون».

---

20 انظر: عماد الصباغ. **الأحناف**. دار الكلمة للنشر والتوزيع. سوريا.دمشق ط2. 2009م. ص: 93

21 انظر: مجلة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميةIRCIA/عدد خاص باحتفالية مرور14قرناً على نزول القرآن الكريم. 2010م. ص.34.

22 انظر: روبير مارتن ، **في سبيل منطق للمعنى** .ترجمة الطيب البكوش.المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية ط1. 2007م. ص : 29- 298.

بالنظر إلى الموحدين الذين استجابوا لدعوة النبي عيسى عليه السلام بالإيمان بالله معه؛ نرى أن عيسى قال لهم:(من انصاري إلى الله)؟ وهي تعني من يسلم معي بالله.بدلالة نهاية الخطاب الذي جاء على لسان الحواريين (واشهد بأنّا مسلمون).

وجاء ذكر المؤمنين بالمدح بنفس النعت والصفة بتسميتهم بالأنصار والحواريين في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) (سورة الصف14)

وجذر «حواري» في اللغة العربية « حَوَرَ» بمعنى رجع. وقد ذكر ذلك علماء اللغة فقال ابن فارس: وأمّا الرجوع، يقال حارَ إذا رجَع. قال الله تعالى: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ)(الانشقاق 14- 15). والعرب تقول: «الباطلُ في حُورٍ» أيْ رَجْعٍ ونَقْصٍ، وكلُّ نقص ورجوع حُورٌ. [23]

أنصار الله.

يُتابع أنصار الله الحديث عن منطلقات هذه النصرة. فهم قد آمنوا باللّه. [آمَنَّا باللّه] والإيمان يعني التسليم، والتسليم يعني التصميم والقناعة واليقين في الخطّ الذي يبدأ من الله وينتهي إليه، لأنَّ الإيمان هو موقف للحياة يستوعب كلّ التفاصيل من خلال ما يواجهه الإنسان من أوضاع، وما يقوم به من أعمال، وما يرتبط به من علاقات، وما ينطلق فيه من تطلّعات للمستقبل. ليكون الخطّ الفاصل بين الإيمان والكفر فاصلاً على مستوى الممارسة لا على مستوى النظرية والكلمة. وبهذه الروح، وفي أجواء هذا التصوّر، كانوا يريدون التأكيد الحي لموقفهم الصلب بشهادة الرسول لهم بإسلام الكلمة والقلب والعمل لله الواحد، في ما يريد وما لا يريد: [وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] وهذه الشهادة تعطي للموقف بُعداً مهماً على صعيد حركة الإسلام في داخل النفس، فإنَّ الفكرة قد تضعف إذا بقيت مجرّد فكر وشعور، ولكنَّها تشتدّ كلّما تحوّلت إلى معاناة في الروح وإعلان في حركة الإنسان في الحياة، لأنَّ الموقف يتخذ لنفسه معنى المسؤولية المتحركة أمام الله والنّاس، من خلال الإيحاء بإلزامه بما التزم به. وربَّما كان هذا هو السرّ في أنَّ إعلان الشهادة من قِبَل المسلم يعتبر عنصراً أساسياً في إسلام المسلم، فلا يكتفي بما يربط قلبه عليه من عقيدة وإيمان.

ولم يقف الحواريون عند هذا الحدّ في التعبير عن إسلامهم وإيمانهم، فهم يعرفون أنَّ الرسول بشر يوحى إليه من الله ، وأنَّ الله هو الذي تقدّم إليه الشهادة للتعبير عن عمق الإخلاص في العقيدة والعبادة، وأنَّ الشهادة للرسول لا تمثّل إلاّ الإعلان له بأنَّه ليس وحده في الساحة، وليس وحده في المعركة، وأنَّ صوته لم يذهب في الفراغ، كما تذهب الأصوات الضائعة في أجواء الجحود والكفران. فهناك المؤمنون الذين يتقدّمون معه في خطّ الجهاد والدعوة إلى الله ، وهناك أصواتهم الهادرة التي تُشهد الرسول بإسلامها، ليسمع الجاحدون كيف تحوّل الإيمان إلى قوّة لا تخاف من الإعلان عن مواقفها المضادّة لقوّة الكفر. إنَّهم يُشهدون الرسول، ولكنَّهم في نهاية المطاف يقفون بين يدي الله الواحد الذي آمنوا به، وآمنوا برسوله من خلال الإيمان به، وأسلموا له على أساس خطّ الإيمان الفاعل في الحياة، ليعبّروا له عن هذا الإيمان العميق الممتدّ في وجدانهم وفكرهم.

وهكذا وقفوا أمام ربِّهم، ولكن لا ليشهدوه على إيمانهم لأنَّ الله يعلم ما في الصدور، بل ليرفعهم إلى مستوى الدعاة إليه، المجاهدين في سبيله، الذين يشهدون على النّاس في خطّ الرسالات الكبيرة في الحياة. فإنَّ الله قد جعل للطليعة الواعية المجاهدة دور الشاهدة على النّاس، كما جعل للرسل الدور الأول في هذا المجال. (رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) الذين يشهدون للمؤمنين الذين استجابوا لله وللرسول دعوته، وحملوا على الكافرين الذين رفضوا الإيمان فكراً وحركة ومنهجاً، فانفتحوا على كلّ المشاكل المتناثرة في صعيد الساحة العامّة، بحيث إنَّهم يملكون القدرة على تقديم تقرير وافٍ شامل لكلّ مفردات الرسالة وخصومها. [24]

إن مصطلح «الحواريون» و»أنصار الله» و»الصابئة» و « الذين هادوا» يُحاكي في دلالته الآنية في المعنى والدلالة كلمة « حنيف» ، بمعنى أسلم وآمن بالله تعالى عند اصل التسمية ؛ ليطابق اللفظ المعنى الذي صيغ لأجله. وما طرأ بعد ذلك من اختلاف

23 انظر:أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة** .مادة .حَوَرَ

24 انظر: محمد فضل الله : **من وحي القرآن** . تفسير آل عمران.آية 52.

للمضمون وبقاء التسمية إنما كان نتيجة التحريف للكتب السماوية فصار البعض من منتسبي هذه المذاهب يسجد لغير الله تعالى ويعبد الأوثان مع إطلاقه على نفسه الأسم الذي يُشعر الآخرين أنه صاحب طريق مستقيم.

وعكس هذه الكلمات مجتمعة هي كلمة(كفر وشرك) كما سنوضح ذلك في الآيات القادمة.

رابعاً : ضبط دلالة المعجم القرآني.

إن المرحلة البارزة في بحثنا هذا توضيح كلمة حنيف في المعجم القرآني وما طرأ عليها من تفرد بذكر دلالة مغايرة لأصل الوضع الذي كانت عليه في الفترات المتعاقبة لملل وثقافات مختلفة منذ ظهورها ككلمة مركزية مرتبطة بالنبي إبراهيم عليه السلام إلى ظهور في المعجم القرآني لتحمل دلالات مغايرة لما كانت عليه.

وقد وردت كلمة «حنيف» في القرآن الكريم اثنا عشر مرة لتشكل حقلاً دلاليا عريضاً يتقاطع مع كلمة إسلام في معظم الأحيان فوصف الحنيف بالمسلم، وعلى عكس ذلك تقابل كلمة حنيف الكافر؛إذ تذكر الآيات أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا أي:مسلم. وتنفي عنه عكس ذلك.

قال الله تعالى:

(وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (سورة البقرة 135)

تظهر لنا الدلالة التعاقبية لصفة اهل الكتاب(اليهود والنصارى) كونهما تحولا من التوحيد الخالص في زمن أنبيائهم إلى الشرك؛ليصبح معناهما في الدلالة الآنية (في المعجم القرآني) مشركون كونهم جعلوا لله الأولاد؛ فاليهود جعلوا له عزيرا ابنا والنصارى جعلوا له عيسى ابناً، وبذلك انحرفوا عن جادة التوحيد الخالص إلى الشرك ،ولم تغني تسميتهم بأهل الكتاب أو باليهود أو بالنصارى بعد ذلك شيئاً.

إنَّ طريق الهدى لا يتّسع لغير اليهود أو من يكون يهوديا، في ما يقوله اليهود، أو لا يتسع لغير النصارى أو دخل النصرانية في ما يقوله النصارى، وكان الجواب أنَّ طريق الحقّ أوسع من ذلك؛ فإذا كان اليهود والنصارى يؤمنون بإبراهيم وملّته، فإنَّ ملّة إبراهيم هي الملّة التي تلتقي عليها كلّ الخطوط، باعتبارها تمثّل خطّ التوحيد الخالص الذي يستوعب كلّ الرسالات ويحتضن كلّ الأنبياء، فلا يضيق عن أحد ولا ينغلق على فئة، فهو الدِّين الحقّ الذي يهتدي المؤمنون به.

ويلاحظ في هذه الآيات أنَّ القرآن يعتبر القياس في صحة سلوكهم هو انسجامهم مع ملّة إبراهيم، باعتبار أنَّ رسالة موسى وعيسى كانت سائرةً في هذا الاتجاه، فإذا كان هناك انحراف عنها، فمعنى ذلك أنهم يسيرون على غير هدى هاتين الرسالتين.

وجاء الرد الإلهي (قُلْ)أي: يا محمَّد (بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) التي تمثّل الملّة المستقيمة على منهج اللّه في امتداد وحيه، المائلة عن كلّ الاتجاهات الباطلة من الأديان المنحرفة.

(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة آل عمران67)

إن الآية هنا تضيف صفة جديدة لإبراهيم عليه السلام زيادة على كلمة «حنيف» والصفة الجديدة هي «مسلما «؛ إذ الأولى كانت بداية تسميتها لأبراهيم عليه السلام من قومه عندما مال وانحرف عن عبادة ما كانوا يعبدون فتطورت دلالة الكلمة لتعني الميل من طريق الباطل إلى طريق الحق ومن الشرك إلى الإيمان، ثم جاءت التسمية الأصيلة التي اطلقها وارتضاها إبراهيم لنفسه ولمن يتبع خط الوحي الإلهي الذي يسير فيه من بعده.

إبراهيم حنيف مسلم:

(ما كان إبراهيم يهودياً) فلا يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً، لأنَّ اليهودية تحرّكت مسيرتها في مواقع الشرك، وانحرفت عن خطّ الرسالة التي جاء بها موسى عليه السلام،(ولا نصرانياً) إذ لا يُمكن أن يكون نصرانياً، لأنَّ النصرانية انطلقت في تفاصيل وأجواء ابتعدت بها عن القواعد الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام (ولكن كان حنيفاً مسلماً) ولكنَّه كان حنيفاً مائلاً إلى الحقّ عن

الباطل، مخلصاً للّه، في كلّ ما يعنيه الإخلاص للّه من صفاء التوحيد في العقيدة والإسلام للّه في كلّ شيء.

لقد جاءت هذه الآية لتنفي هذه النسبة إلى إبراهيم عليه السلام؛ فهو لم يكن يهودياً يحمل خَطُهُ انحراف اليهودية، ولم يكن نصرانياً يلتزم انحراف النصرانية، ولم يكن مشركاً ينسجم مع طريقة أهل الشرك في عبادة الأصنام بحجّة أنّها تقرّبهم إلى اللّه زلفى، بل كان حنيفاً بالمعنى الأصيل لهذه الكلمة التي تعني في كلٍّ مضمونها الاستقامة على طريق الحقّ في العقيدة، والعمل بالميل عن خطّ الانحراف إلى خطّ الاستقامة، وكان مسلماً بالمعنى الشامل للإسلام الذي يعني إسلام الفكر والقلب والحركة والحياة للّه في كلّ أموره. [25]

(قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة آل عمران 95)

لقد جاءت كلمة «ملّة» مسندة إلى النبي إبراهيم عليه السلام في سياق الحديث عن حنيفيته خمس مرات، وجميعها تتكلم عن سير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخط دعوته على هذا الطريق المستقيم ؛ باتّباع «ملة» النبي إبراهيم عليه السلام.

(فاتَّبعوا ملّة إبراهيم) التي تمثّل ملّة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وسلم، لما تمثّله من الامتداد الرسالي لتلك الملّة التي تجمع في داخلها الخطوط العامّة لكلّ ما يريد اللّه أن يلتزموه في المعنى التوحيدي الشامل من حيثُ الفكر والعمل.

إن كلمة (حنيفاً) تعني؛ منفتحاً على خطّ الاستقامة في طريق الحقّ المائلة عن خطّ الباطل؛ فقد كان يمثّل التوحيد الخالص لله تعالى في كل شؤون مآله وحياته. (وما كان من المشركين) لأن دعوة نبينا محمد كانت ثورة كذلك على الحنيفية الوثنية المحرفة في الجاهلية الثانية، فإعلان النبي أنه بهذه الرسالة التي يحملها يكون مُتَّبِعاً (هو ومن يؤمن به) لملة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

وتدعو الاية في سورة ال عمران إلى اتباع ملّة سيدنا محمَّد صى الله عليه وسلم، باعتبار أنّها تمثّل إرادة اللّه الأخيرة في خطّ الرسالات، ما يجعل اتباعها إسلاماً للّه الواحد، وتجسيداً للتوحيد الحقّ الذي تلتقي لديه كلّ منطلقات الحياة الخيرة وتخضع له، فذلك هو خطّ إبراهيم عليه السلام التوحيدي الذي يرفض كلّ شرك.

وتوضح الاية 120 من سورة النحل صورة جديدة للنبي إبراهيم بخط سيره التوحيدي المسلم لله تعالى. إذ تصفه الآية بأنه (كان أمة) بموقفه من خط الشرك وتغير مساره إلى طريق الإيمان بالله تعالى مُسَلِّماً أمره بقراره المصيري هذا إلى الله تعالى.

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة النحل120)

إن الله تعالى أوحى إلى نبينه محمد صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام؛ وأن يسير بخط دعوته إلى الله تعالى وفق خط رسالة ابي الأنبياء المخلصة والمسلمة في كل أمرها لله تعالى.

وما خط الحنيفية الوثنية في الجاهلية إلا نوع من الشرك وإن تَسَمَّت بِمُسَمَّى الحنيفية؛لأن الإسم آنذاك خالٍ من مضمونه.لأن إبراهيم عليه السلام وُصِفَ في قوله تعالى (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). وهذا ما تبينه الآية التالية.

(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة النحل123)

وجاء بعدها التكليف الإلهي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم باتباع الحنيفية التي جسدها إبراهيم عليه السلام بكونه كان أمَّة للناس، وممثلاً لخط الرسالة الإلهية الصافية.فقال تعالى

(وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة يونس105)

والانسان إذا استسلم لأمر الله تعالى يكون بذلك أقبل على الدين بكيانه وبذلك يكون أقبل على الدين كله؛ وبذلك يجعل الإنسان المسلم حياته كلها مربوطة بالله تعالى وسائرٌ في هُداه،ولا يمضي بأي أمر إلا من خلاله،ولا يتوجَّه إلا إليه . وهذا ما ترسم خطّه الآية التالية.

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (سورة الروم30)

إن مَن أسلم وجهه لله تعالى ورضي بتحكيم أمر الله في كل شؤون حياته صغيرها وكبيرها بحقٍّ جدير بأن ينال هذه التسمية.

---

25 انظر: محمد فضل الله : **من وحي القرآن** . تفسير سورة البقرة 135.وآل عمران67.و95.وسورة النحل120.و123

كيف أسلم أمره في القرارت المصيرية ورضي بكل اوامر الله التي يتلقاها حتى لوكانت بالهجرة من البلد وترك الأهل أو ذبح الولد. من هنا جاء اسم (أسلم وجهه)،إذ تفيد الاستسلام المطلق لأمر الله تعالى.

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة الأنعام79)

(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(سورة الأنعام161)

إن كلمة «حنيف» أخذت تنحو في المعنى لتشكيل كلمة «ملة» واضحة المعالم بخط سيرها المستقيم حتى ترقى إلى ال»أمة» التي تعيش حياتها وهمها ومسارها وغايتها بالعقل الجَمْعي الراشد ؛عقل الأمّة الذي يسير وفق الطريق الذي رسمه لها الوحيُ الإلهي. إنطلاق من هجرة إبراهيم عليه السلام بثورته التوحيدية على شرك قومه ؛ مؤذناً بذلك رسم طريق الملة الحنيفية لتتحقق دعوته عليه السلام بعد أن وصى بنيه (فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(البقرة132)ودعا ربّه (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ)(سورة البقرة128) ثم خَصّص إبراهيم عليه السلام الدُّعاء فقال مُناجياً ربَّه :(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(سورة البقرة129) لتتحقق دعوته عليه السلام بخروج آخرأنبياء أمة الإسلام برسالتيها الإبراهيمية والمحمدية وهي رسالة التوحيد.

إن من مبادئ الحنيفية العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى، ومن يعمل من البشر سوءاً يُحاسَبُ بعمله دون النظر إلى مَن ينتمي من الملل والأديان. سواء أكان من أهل الكتاب أم من الحنيفية. إذ الحنيفية تتحقق بالانتماء بالفعل والعمل الخالص للمسلم، وليس بالانتساب الإسميّ الفارغ من مضمونه.

لذا من أراد اتباع ملة إبراهيم عليه السلام الصافية من التحريف ليس بوسعه إلّا أن يعرفها من رسالة الإسلام التي جاء بها آخر الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم كونها استمرار للديانة الحنيفية بخطها الواضح المستقيم المائل عن كل شرك وظلم إلى الحق والعدل المطلق. وهذا ما تبينهُ الآية التالية.

(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)(سورة النساء 125)

في هذه الآية تخطيطٌ للتصور الإسلامي في معنى الانتماء إلى الدين، فليس معناه أن ينتسب الإنسان إليه ليمثل ذلك امتيازاً ذاتياً يكتفي به في عملية الالتزام، ليباح له . بعد ذلك .كل شيء، بل إن معناه، هو الالتزام العملي، باعتباره خطاً يسير عليه في الجانب الفكري والعملي من حياته.

إن القرآن الكريم رسّخ كلمة حنيف بمعنى المهتدي إلى طريق الحق المائل عن طريق الباطل؛ وبعد ذلك جاء التكليف الإلهي لرسم معالم الطريق الحنيفية وفق أوامر الوحي الإلهي،إن إبراهيم من جهته فوض أمره إلى الله في كل شأنه وأستسلم لأمره واستعد لتلقي التكليف الإلهي بعد ذلك،فكانت هجرته ثم بناءه للبيت العتيق ليكون قبلة الحنفاء لملته، والتي سيخرج منها آخر الأنبياء ليعيد معالم الحنيفية السمحة بالإسلام برسالته المحمدية للناس كافة.

إن التكليف الإلهي جاء بعدة اوامر ونواهي لإبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت(الكعبة) وتوضح الايات التالية ذلك:

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ 26 وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ 27 لِيَشْهَدُوَا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ 28 ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ 29ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ 30)(سورة الحج)

وجاءت الصفة لملة إبراهيم بعد تلقي وتطبيق التكليف الإلهي في الآية التي تلي الآيات السابقة بـ (حنفاء). قال الله تعالى:

(حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (سورة الحج31).

إن الآيات القرانية تُرسخ أمراً بالغ الأهمية وهو أن الخط الحنيفي للدين الإسلامي برسالتيه الإبراهيمية والمحمدية لا يلتقي مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) كونهم عَدَلوا عن التوحيد الذي رسمه لهم أنبياؤهم إلى الشرك؛ فقام النُّسَّاخ والأحبار والرهبان من اليهود والنصارى بتحريف الكتب السماوية ؛فابتعد بذلك أهل الكتاب عن خط التوحيد الحنيفي ليسقطوا في التثليث وادعاء الإبن لله تعالى.

وكان أمر الله تعالى واضح جلي في دينه الذي كلّف به جميع الأنبياء والمرسلين؛ وهو الدين الخالص لله تعالى بعبادته وحده وعدم الشرك به. لكن أهل الكتاب لم ينفعهم تسميتهم بـ (أهل الكتاب) بعد أنبيائهم كون هذه التسمية صارت اسماً من غير مضمون. وابتعدوا بذلك عن خط الحنيفية التي جاء بها أنبياؤهم كما جاء بخطها العريض أبو الأنبياء.

بعد ذلك شاءت إرادة الله تعالى أن تُحيي الحنيفية (بعد تحريف أهل الكتاب والعرب الوثنيون) بإرسال نبينا محمد آخر الأنبياء والمرسلين بالمعجزة الخالدة التي تكفل الله تعالى بحفظها من التحريف ليكون مركزاً وأساساً واضحاً ينطلق منه كل إنسان أراد أن يسلك طريق الأنبياء إلى الله تعالى بدءاء سيدنا إبراهيم(وابعث فيهم رسولا منهم) نبي الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليوضح للبشرية الطريق الذي فُقد وحُرِّف. قال الله تعالى:

(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(سورة البينة5).

لقد اطلقت صفة المسلمين لكلٍّ من أسلم وجهه وحياته للّه، فاتبع أمر اللّه ونهيه في كلِّ شيء، ولم يُشرك بعبادة ربِّه أحداً؛ وذلك هو قوله تعالى: (ملَّةَ أبيكم إبراهيم هو سَمَّاكُمُ المسلمين من قبلُ) (الحج:78). وبذلك كان انتماء إبراهيم الأصيل إلى الإسلام الحقّ الذي يمثِّل الخطّ العريض لكلِّ الديانات السَّماوية من قبله ومن بعده، لأنَّها تدعو إلى عبادة اللّه والإسلام إليه وحده. وهكذا كانت رسالة نبينا محمَّد صلى الله عليه وسلم إسلاماً للّه، لأنَّها تمثِّل الدعوة الخالصة إلى التوحيد في كلِّ مجالات العقيدة والعاطفة والعمل.[26]

الخاتمة:

تضمنت المقالة دراسة تحليلية دلالية لكلمة» حنيف» في المعجم القرآني والمعجم العربي. إذ لابد للباحث في علم المعاني والتحليل الدلالي من إلقاء نظرات عميقة ومتفحصة «لقواميس اللغة العربية» من حيث المعنى والاشتقاق في تحليله للدلالات, مع بيان دلالات معاجم التراث الإسلامي لمعنى كلمة « حنيف « إذ لابد من الوصول لمعنى كلمة « حنيف» من جهة الدلالة الآنية والتعاقبية لتحديد المعنى الحقيقي عند الاستخدام الأول ، وما زاد عليه بعد ذلك عبر التاريخ الإسلامي.

من خلال دراستنا لكلمة «حنيف» بدلالتها المتعاقبة في التاريخ الانساني وفي اللغات؛ اليونانية و السريانية والعبرية والعربية في الجاهلية القديمة تعني الضال المنحرف.

إن المعجم القرآني في دلالته الآنية كان أول من استخدم كلمة «حنيف» بمعنى المهتدي والمسلم المائل إلى طريق الحق. عند تشكيل الحقل الدلالي لمفهوم كلمة «حنيف» وجدنا أن هناك بعض المفاهيم والمصطلحات تقاطعت في معانيها ودلالاتها في أصل التسمية الآنية لكلمة «حنيف» ومن الكلمات المترادفة والقريبة منها كلمة « الصابئة « و» الحواريون « و « الذين هادوا « لأنها كلها كانت تعني التائب والعائد إلى طريق الحق والهدى؛ وبالمعنى الغائي كانت تعني «المسلم» وبذلك تتقاطع مع كلمة «حنيف» بمعناها المعجمي القرآني «الميل إلى طريق الحق». وعكس كل هذه الكلمات « الشرك والكفر» .

26. انظر: محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن.تفسير سورة البقرة آية 131-231.